قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

أنا عراقيّ .. أنا أقرأ

"مصر تكتب ولبنان يطبع والعراق يقرأ" .. الكلمة التي يقال إن طه حسين قالها وذهبتْ باعتبارها مسلّمة، لم تكنْ دقيقة يوماً، وبالتأكيد هي ليست كذلك اليوم تحديداً، هي شائعة استلطفها المصريون واللبنانيون والعراقيون وأشاعوها فثبتتْ كأنها ختم، كلّ منهم وجد فيها حصته من الثقافة ورضي بها.

هل العراقيّ يقرأ؟ ماذا يقرأ؟ ليست بين يديّ إحصائيات دقيقة طبعاً، لكني أعرف أننا نكاد نكون شعباً أميّاً، أعرف أن الصحف الكبرى لدينا .لن نتحدث عن الكتب. لا يباع منها سوى بضعة آلاف فقط، أكثر من ثلاثين مليون شخص لا يستهلكون بالكاد سوى عشرين ألف نسخة من الصحف، أقلّ أو أكثر بقليل.

نحن لا نقرأ. لدينا ما يشاع أنه أكبر سوق للكتب في المنطقة "شارع المتنبي" لكنّ مدمني هذا الشارع يعرفون أنهم وحدهم يأتون ويذهبون إليه كلّ جمعة للقاء وإقامة الأصابيح، نفس الوجوه والأسماء، إنهم أصدقاء إذا غاب واحد منهم افتقده الجميع، هؤلاء هم أهل الكتاب عندنا.

لكنّ شباباً أغلبهم من رواد المتنبي، يريدون أن يجعلوا العراقيّ يقرأ حقاً، يريدون أن يجعلوا من مقولة طه حسين حقيقة، صبايا وشباب اجتمعوا مرات واتفقوا على البدء بمشروع مثمر، جعلوا له هذا العنوان "أنا عراقيّ .. أنا أقرأ". كوجيتو فيه من الحماسة ما يليق بالشباب، وفيه تعويل على أمل ملحميّ: أن يكون العراقيّ "الذي لا يقرأ الصحف ولا يعرفُ من الكتب سوى كتب المنهج أيام دراسته" قارئاً.

أمس نشرت "المدى" تقريراً عن مبادرة هؤلاء الشبّان الآملين الذين نتمنى أن تصيبنا عدوى أملهم، فالعافية. لا المرض وحده. تعدي أيضاً، والمعافون يشعّون صحة على من حولهم، وعلينا أن نكون معهم، لا لنساندهم فقط أو لننصحهم ونشجعهم بل لنستزيد منهم أملاً فقد تملّكنا يأس ثقيل.

في أيلول المقبل ستكون في بغداد، بفضل هؤلاء الشبان، تظاهرة من نوع مختلف، تظاهرة لا ترفع فيها لافتات حزبية أو دينية، لا أهازيج طائفية أو فئوية، تظاهرة صامتة مسالمة لآلاف من الأشخاص لا يحمل كلّ منهم سوى كتاب. سيوزعون الكتب على المارّة والسيارات، سيقرأون ويدعون العراقيين إلى أن يقرأوا.

"أنا عراقيّ .. أنا أقرأ" حدث ثقافيّ كبير، أجزم بهذا قبل أن ينطلق، لأنها المرة الأولى التي يجتمع فيها عراقيون كثر على حبّ الحياة ممثلاً بحب القراءة، فنحن في العادة تجمعنا السياسة. التي هي آلة تنتج كراهية. ويفرّقنا الشعار الديني. الذي هو آلة أخرى تنذر بإنتاج العنف. هذه المرة دعانا أهل الكتاب من الشباب لأن نكون بلا لافتة أو شعار.

سنكون هناك معكم أصدقائي الرائعين، لأنكم آخر ما بقي لنا من أمل في عودة الروح لهذه الدولة المنكوبة برجالها ورموزها وقادتها الذين لا يقرأون.

عـــن أيّ تبـــادل ســـلميّ للســـلطة يتـــحدّثـــون؟

د. مهند البراك

إضافة إلى المحاصصة الطائفية و العرقية التي فُرضت فرضاً بديلاً للدكتاتورية، لأسباب متنوعة لايتسع لها المقال، على رأسها تخوّف الدوائر الكبرى من انفجار الأوضاع في العراق بوجه الدكتاتورية المبادة و قيام بديل شعبي راديكالي غير مسيطر عليه منها، يهز منطقة النفط هزّاً عنيفاً و يهدد توازن وتفاهم احتكاراتها النفطية الدولية السابق،

المشهد السوري يلقي بظلاله على الوضع العراقي

بمجيء توازنات و حسابات جديدة لصالح شعوب المنطقة، أو يؤديّ إلى مجيء احتكارات جديدة إلى معادلات المنطقة، غربية كانت أو آسيوية . . تؤديّ بإرباحها أو تصيبها بأضرار لاتحسد عليها ،عملت دوائر القرار المتصارعة : الدولية من جهة، و الدوائر الإقليمية التي فرضت مشيئتها على أطراف معارضة صدام في سنوات كفاحها الدامي ضد دكتاتوريته، حين اضطرّت للجوء إلى دول الجوار، بعد أن ضاقت بها الأرض و ضاقت بها القوى الدولية المشغولة دوماً بتحقيق أرباحها الفلكية سواءً من النفط أو ما يحققه لاحتكارات سلاحها نهج الدكتاتور الأرعن من أرباح فلكية إضافية بسياساته الحربية، التي أعادت نتائجها العراق إلى عهد ما قبل الصناعة، على يد تلك القوى ذاتها . .

و تستمر تلك الصراعات بوجوه و آليات كثيرة التعقيد يغلب عليها العنف الوحشي و التهديد به، رغم الإعلان عن تبني مبدأ " التبادل السلمي للسلطة " . . آليات تؤثر و تتفاعل و تركب أطراف معارضة صدام ذاتها، التي أوصلت للحكم إثر الحرب الخارجية التي أسقطت الدكتاتورية، بالعمل على إدامة مشاعر المظلومية الطائفية. بعد مراحل المظلومية القومية الصدامية و الدينية، التي قد تعود إليهما. . موظفة حال الحكومة و الحكم الطائفي القائم لذلك . .

و يتساءل كثيرون، لماذا انحصرت الخلافات في نخب و أشخاص و في دوائر مغلقة، دون مصارحة الشعب، و إلا لماذا يخاف رئيس الحكومة الاتحادية. و رؤساء كتل متنفذة أخرى. من المساءلة البرلمانية الأصولية المفتوحة أمام الشعب ؟ و لماذا يحذّر ناطقيه من احتمالات تقديمه إلى المحاكمة الدستورية ؟ و تساؤلات عن ماهية القواعد المعتمدة في صفقات الحكم العليا ؟ و هل تعبّر المحاصصة الطائفية و العرقية عن تقسيم العراق سرّا إلى مناطق نفوذ دولية و إقليمية كما تقسّمت برلين و ألمانيا بعد الحرب ؟ و إن صحّ ذلك لماذا لا يُصرّح بذلك علناً ؟؟ و إنما يعيش الشعب بأطيافه ذلك و يقرأه بين سطور فترات الهدوء و يجتهد به و يراه علناً عند الأزمات، لتزايد أسرار صفقات الحكم و معادلاته، بعيداً عن الدستور المعلن ؟؟

بل لماذا يُرحّل كل ذلك إلى جهل و تخلّف الشعب بأطيافه ؟ بل لماذا تجري البحوث و الندوات التي تبحث في أسباب وحشية صراعاتهم على مغانم السلطة، بسبب تزايد العلنية في العالم بفعل العولمة و الانترنت،وإن السلطة لا تزال تسير وإن بألوان جديدة، على نفس معادلات الحكم السابقة القائمة على إبعاد الجماهير عن السياسة و على محاولات منع تكوّن رأي عام حول قضايا الساعة ، بحصر دور الجماهير في تحشيدات لتأييد الحكم من جهة أو تحشيدات لإحياء المناسبات الدينية و المذهبية و إحياء مناسبات جلوس الحاكم على مقعد الحكم و ما يتّصل بذلك، وصولا إلى العطاءات و الهبات . .

و إذا ما يتابع الناس حرب الملفات و التهديد بفتحها، سواءً من قبل رئيس الحكومة أو من قبل قادة الكتل المتنفذة فإنهم. الناس. يخافون من تحوّل التهديدات إلى عودة إحياء الميليشيات الإرهابية(×)، و هم يعيشون قبول أعداد جديدة منها في العملية السياسية و تأهيل أخرى لمواجهة المنافسين و المعارضين ، في وقت يعبّر فيه قادة الكتل المتنفذة و في مقدمتهم رئيس الحكومة القائمة في مقابلته الأخيرة على قناة شابير الفضائية الجديدة قبل أيام حين قال " في الحقيقة لا يجري تبادل سلمي للسلطة في العراق" . .

و ترى أوساط تتسع إن ما يجري في البلاد إن لم يجر إيقافه من قبل كل الأطراف الداخلية و الإقليمية و الدولية ذات العلاقة، و حلّه على أساس القضية الوطنية و الحكم المدني الاجتماعي التعددي بعيدا عن المحاصصة التي تتوضح أكثر نتائجها المدمّرة ، فإن ذلك سيؤدي إلى تحطم السكة الجديدة التي وضعت عليها البلاد على أساس قيام دولة مؤسسات برلمانية خاضعة لدستور صُوّت عليه، و سيعني أن حتى القليل الذي تحقق سيذهب هباء . .و يرون في مسيرة الحكم القائم، بكونها تسير نحو بناء دكتاتورية انكوت بها البلاد في السابق، و جرّبت بدماء أبنائها طرقها و فنونها الشيطانية و ماهية أدواتها . . دكتاتورية عن طريق تهديد و نهش الكتل السياسية الأخرى، و الإصرار على الهيمنة الفردية و على ما يحدث و اتّباع سياسة ثابتة في كتم الأفواه و الصحافة . . بدلا من الاستناد إلى الطرق و الآليات الدستورية و إلى الطرق المدنية المعمول بها في العالم المتمدن اليوم .

فيما يرى مراقبون أن استمرار تلك الصراعات، سيخل باستقلال البلاد و بموقفها الوطني المحايد في الصراع الإقليمي، أكثر . . و سيجرها إلى أتون حرب يستعر أوارها بتفاقم الوضع السوري المهدد بتوسع الصراع المسلح في المنطقة جارّاً إليه، إضافة إلى إيران و خلافاتها الداخلية و صراعها حول المفاعل النووي، دول الخليج و تركيا، إسرائيل علاوة على القوى الكبرى من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، إلى روسيا و الصين . .

ففي مقابل التعزيز المتواصل للقاعدة العسكرية الروسية في سوريا، أعلن قبل أيام عن نجاح المناورات العسكرية الكبيرة لفرق القوات الخاصة لدول الناتو و الغرب، في الأردن . . و يجري تعزيز القاعدة العسكرية الأميركية في الكويت بمزيد من الجنود و المخطط أن تضم أكثر من أربعين ألفاً من قوات المارينز الأميركية، وفق صحيفة ساينس مونيتور الأميركية في عدد ٢١ حزيران الجاري . .

✶ إضافة إلى محاولات إقحام الجيش في السياسة . . بسعي الحكومة القائمة لدفعه إلى حل الخلافات السياسية، كما تتناقل وكالات أنباء مستقلة .

حـــين أعـــمـــل مـــع صـــحـــفـــيـــة!

قيس قاسم العجرش

أن تسير بجانب امرأة في بغداد وتتبادل معها الكلمات،يكون الأمر في الغالب"أزمة"تتناسب طردياً مع حالة المرأة التي تسير بجانبك ومستوى العُته الذي يتمتع به الموشك على فعل التحرش .كلما كانت امرأة شابّة وربما لا ترتدي زياً مُسرفاً في الاستتار ازداد احتمال تعرضك وتعرض أسماعك إلى كلمات لا تليق، أو أن تتعرض هي لغمزات غير بريئة أو عبارات قذرة ممكنة جداً، يمكن أن تسمع شيئاً آخر، يمكن مثلاً وأنت تسير باحترام لنفسك وللمرأة التي معك أن تسمع فتيان يتبادلون شتائم جنسية بأفظع ما يمكن للذاكرة العراقية الشوارعية أن تتبادله.

صحفيات عراقيات أثناء تكريمهن

احتمال ضعيف جداً أن يكون هؤلاء لا يقصدون"التعدي"على أسماعك وأسماع المرأة التي تسير معك.

يمكن أن تتعرض أنت والتي تسير معها إلى"صيحة"جنونية يطلقها بائع شوارعي إعلاناً عن بضاعته لكن منظر المرأة يستثيره فيرفع الصوت مشدداً ومركزاً على أن تمر سهام كلماته بصورة دقيقة قرب أسماعك والمرأة التي معك،تمرّ مروراً غير كريم بالمرّة.

سنتعامل بالحكمة ونظريات علم الاجتماع ونفترض أن الفصل الجنسي السائد في مجتمعنا هو السبب لانتهاز البعض هذه الفرص وقد يندفع هذا(البعض) إلى الاستثارة والانزلاق للتحرش والتي يقول عنها علماء الاجتماع إنها لا تتعلق بعرض الرغبات الجنسية قدر تعلقها بمحاولة الاستعراض ولفت الأنظار في لحظة شعور بالتضاؤل وعدم الأهمية.

منظر المرأة يكون مغرياً جداً إلى استعراض لفت الانتباه هذا.

أما في حياتنا الصحفية فيواجه الصحفيون نوعاً آخر من فصول التحرش الذي يتسبب به منظر المرأة الصحفية أيضاً مهما كان طبيعياً .

يحدثكم عن هذه الأحداث كل مصور صحفي رافق زميلته الصحفية في مهمة عمل أو كل كادر صحفي خرج للتصوير برفقة مراسلة تلفزيونية أو احتوى بين أعضائه مقدمة برامج مثلاً.

خلال ستة أعوام من العمل التلفزيوني شهدته في غرفة الأخبار لم يحدث أن خرج كادر إخباري للتصوير برفقة مراسلة صحفية إلا وتعرض لنوع من أنواع التحرش مع بعض الاستثناءات القليلة جداً. ولا يهم هنا إن كانت المراسلة الصحفية شابة جميلة أم فتاة عادية المظهر ، لا يهم إن كانت مرتدية زياً محتشماً أو "اعتدت"ابتداء بارتداء زيّ فاضح ،لا يهم إن كانت ترتدي زياً إسلامياً أم غيره،ذلك غير مهم أبداً ، الثابت أنها ستتعرض هي وفريقها المصاحب لها إلى تحرش حتى وإن كان في أدنى المستويات، حتى وإن كان بمستوى كلمات فاضحة متداخلة فقط، فإن لم يجد المتحرشون ففي العادة نسمع صيحات هستيرية من الجو العام للتصوير قرب المتر المربع الذي تقف فيه المراسلة الصحفية.

كل هذا يحمل مبررات تفسيرية اجتماعية ،فالتحرش بالنهاية ليس مقصوراً على الصحفيات فقط، كل فتاة عراقية تعمل وتستعمل وسائل النقل العام وتتحرك وسط الشارع أو ساحات النقل لا بد وان تكون قد مرّت بصورة شبه يومية بنوع من أنواع التحرش، لأن النظام العام لم يصل بعد إلى التأثير في كل الأفراد أو معظمهم.ومؤخراً عايشنا كصحفيين نوعاً آخر من التحرش،فما أن يحتوي فريقنا الصحفي على"زميلة"حتى يبدأ بعض عناصر القوات الأمنية من الذين علينا التعامل معهم بالتصرف بحديدية مطلقة تجاه الصحافة وممكن أن يسمع الصحفيون من الذكور، بحضور زميلاتهم الصحفيات، عبارات مثل :"قف في مكانك لا تتحرك.." أو " ممنوع ..سلم الكاميرا وانتظر خارج"وغيرها من العبارات العصبية التي تنطوي على مرض نفسي بالضرورة تجاه الكاميرا وتجاه وجود"صحفية"في المكان يدفع وجودها البعض إلى استعراض عضلاته.

الأسوأ من هذا إن التحرش يبدو وكأنه ينطلق من التسليم (من قبل المتحرش) بأن الفتاة العراقية العاملة كصحفية هي فتاة"سهلة"مطعونة بشكل ما في أخلاقياتها .

مؤثران ومحفزان يعملان بالتعاضد هنا،استثارة الكاميرا وميراث التحرش السائد في الشارع القادم منه هذا العنصر الأمني.

الحادث الأخير الذي تعرض له زميل وزميلة من قناة المسار مع القوات الأمنية في النجف خير مثال على الاستفزاز للمرضى النفسيين بين صفوف القوات الأمنية الذين تثيرهم قضيتان أساسيتان، الكاميرا ووجود امرأة.

يبدأ البعض من هؤلاء بالتقوس وعرض الهيبة الفارغة التي تمثلها سلطة الزي الرسمي والسلاح الحكومي ،كل هذا للاستعراض مثل الديكة.هذا الحادث ليس استثناء فقد مررنا بعشرات من مثل هذه الحالة ، ومن السذاجة أن نتهم بتسليط الأنظار فقط على الحالات السلبية دون الإشارة إلى الحالات الإيجابية من التعاون بين القوات الأمنية والصحفيين، هذه سذاجة مطلقة إذ أن الصحافة في البلدان الديمقراطية ليس من مهمتها تلميع أي صورة حتى وإن كانت إيجابية.

وللمثل أسوق هنا آخر عدد قرأته من صحيفة "واشنطن بوست" الأميركية ،ففي الصفحة الأولى نطالع قصة عن تحرش جنسي قام به أحد مدربي المنتخبات الوطنية والى جانبه قصة خبرية عن مسؤول رفيع ضبطته كاميرات المراقبة في حادث سيارة ضرب مواطناً فيه وهرب. هذه هي أخبار الصفحة الأولى ولا مجال فيها لتصريحات "المقربين"من الحكومة أو نواب الصدفة.

ببساطة، مهام الصحافة أن تنقل الحقيقة المفرطة وتكثفها ،لأنها الاستثناء أما الواجبات اليومية التي يحسبها البعض"منجزات"فهذه لا تتسع لها الصحافة الحرّة الباحثة عن القضية والقصة المثيرة والموضوعية.

لهذا نفهم فقط لماذا تستثار بعض النفوس حتى داخل صفوف القوات الأمنية من وجود الكاميرا ومشهد فتاة صحفية تزاول مهنتها بشرف وأمانة وخلق.

لأن البعض تعوّد أن يعيش بلا هذه الأوصاف...ببساطة.

لا ســـحب ثقة .. لا استجواب .. لا إصلاحات

فهد الناصر

لم يزل إلى الآن الصراع قائماً بين المعارضة إن صح التعبير المتمثلة بالكتل الثلاثة الكردستانية والعراقية والصدرية من جهة ومن جهة أخرى دولة القانون . فمنذ أشهر وعمليات الشد والجذب والتراشق الإعلامي وأحيانا بالاستقواء من خلال استعراضات عسكرية لميليشيات موالية لدولة القانون (أي دولة قانون هذه تستقوي على خصومها بميليشيات مسلحة ؟!) بين طرفي الصراع على أشده ،فكانت الجولة الأولى من الصراع تدور حول سحب الثقة من المالكي لكنها لم تحسم بالضربة القاضية لعدم اكتمال (العدد القانوني) الذي يؤهل المعارضة إلى سحب الثقة من خصمها . فعندها أعلن انتصاره الساحق عليهم من خلال رسالة وجهها إلى السيد رئيس الجمهورية . بعدها توجهت تلك الكتل إلى عملية استجواب للمالكي تحت قبة البرلمان وهذه العملية تحتاج إلى جمع ٢٥ توقيعا .

بالمقابل شنّ المالكي وحزبه وأنصاره هجوما مقابلا على أحد أبرز شخصيات تلك الكتل ألا وهو النجيفي مستخدمين معه ذات الأسلوب . المشهد يبدو أمام أنظار العالم و المراقبين أنها ممارسات ديمقراطية مارسها سياسيونا بأسلوب حضاري لأجل خدمة الوطن والمواطن لكن في حقيقتها هي صراع للحصول على أكبر قدر من المكتسبات . وأعتقد ستخفق تلك الكتل باستجواب المالكي لعدة أسباب منها تأرجح موقف كتلة الأحرار النيابية ربما بسبب ضغوط مورست عليها لكنها أعلنت تمسكها بسحب الثقة والمطالبة بالإصلاحات ،وهذه أيضا لا يمكن تحقيقها حسب اعتقادي لكونها أكبر من قدرة المالكي في هذه الفترة ،كما هي أيضا مسؤولية جميع شركاء العملية السياسية . و بالمقابل هدد رئيس الوزراء بفتح ملفات ساخنة ضد هؤلاء إذا ما تم الاستجواب . وهذا النمط من التهديد قد تعوّد عليه الكل ولا أعرف لماذا لم يتم فتح تلك الملفات من قبل أن يكون رئيس الوزراء في هذا الموقف كما فعلها سابقا مع الهاشمي ؟

غُيّب صوت الحوار والعقل وحل محله صوت التهديد والوعيد وانشغل وسينشغل نواب الشعب بهذا الصراع بين الخصوم بدلا من تشريع قوانين تهم حياة المواطن . والغريب اليوم يفاجئ الجميع المالكي وحسب ما يدّعي باضطرارية موقفه من الدعوة إلى انتخابات مبكرة . الآن شعر رئيس الوزراء بأهمية الذهاب إلى انتخابات مبكرة ! فأين كان من هذه الدعوات التي أطلقها من قبله الشيوعيون ؟ وهل ستجري تلك الانتخابات دون أن يسبقها بسلسلة إجراءات كسنّ قانون للأحزاب ومعرفة مصادر تمويلها وجعل العراق دائرة انتخابية واحدة لا متعددة الدوائر ،كما لا ننسى مفوضية الانتخابات أم يراهن على فوزه هذه المرة بأغلبية ساحقة بعدما تفككت وتشظت القائمة العراقية ، وبدون إجراء تلك السلسلة الضرورية التي تسبق الانتخابات. وفي ظل انعدام وجود جبهة يسارية موحدة تقف بالضد من الاصطفاف الطائفي الذي تقوده قوى وأحزاب الإسلام السياسي لن يتغير شيء في الخارطة السياسية . لكن يبقى الأمل قائما بالتيار الديمقراطي حين إجراء الانتخابات في وقتها الطبيعي . كما يبقى الصوت العقلاني الذي دعا من قبل وما زال يدعو إلى عقد مؤتمر وطني يجلس فيه الجميع ،من هم داخل السلطة ومن هم خارجها من الذين شاركوا وساهموا مساهمة فعالة ببناء العملية السياسية بعد ٢٠٠٣ يتم فيه حل جميع المسائل المختلف عليها . لا العمل على ترحيلها وتأجيلها.